معا إلى الله الحلقة الثالثة

للشيخ أيمن الظواهري –حفظه الله

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

أيها الإخوة المسلمون في كل مكان السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد

كنت في الحلقتين السابقتين قد تعرضت ببساطة وإيجاز للرد على الملحدين النفاة، وقد يكون في ذلك الرد بعض الجفاف النظري، ولذلك فإني آثرت أن أوضحه باقتباسات منقولة عن بعض مشاهير الكتاب، الذين عادوا للإسلام من الإلحاد.

وأود أن أوضح هنا بأن هناك من أنعم الله عليهم بالعودة من الإلحاد للإسلام، ولكنهم مع ذلك حملوا معهم بقايا أفكار خاطئة، أو اجتهدوا أو تبنوا آراء خاطئة.

وهذا متوقع وغير مستغرب. ولكن هؤلاء عبروا القنطرة من الكفر للإيمان.

ولا يعني هذا أن نتغاضى عن أخطائهم، بل يعني أن نواصل دعوتهم وتبيين الحق لهم.

لأنه للأسف، مع انتشار الجهل والخلط العقدي والعلمي، ومع انحراف كثير ممن يرجعون لهم في الفتوى بما لديهم من أفكار خاطئة، بل وتصرفات مسيئة. لا يستغرب من هؤلاء أن يقعوا في أخطاء.

ومن المعلوم عن أئمة السلف: أن من قال قولا خاطئا في العقائد أو الأحكام –عن جهل أو تأويل مع حسن قصد واجتهاد في بلوغ الحق– فإنه معذور.

وفي عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– بال أعرابي في المسجد، فلم يؤاخذه النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر الصحابة أن يكفوا عنه. وعند خروج النبي –صلى الله عليه وسلم– لخيبر مر بشجرة للمشركين، يقال لها ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم، فقال الصحابة –رضي الله عنهم– للنبي صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط". فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "سبحان الله. هذا كما قال قوم موسى: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾، والذي نفسي بيده لتركبنّ سنة من كان قبلكم"[1].

ونحن في فتن شديدة اختلط فيها العلم بالجهل، والحق بالباطل، والسنة بالبدعة، وعلينا أن نسعى في جذب الناس للحق بأيسر الطرق، والشيخ عمر عبد الرحمن –رحمه الله– كانت فيه دعابة،

---

[1] أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

فأذكر مرة أن أحد الإخوة سأله عن العذر بالجهل، فقال له: يا بني العذر اليوم ليس بالجهل، بل بالعلم، لأن العلم قد فسد.

ونحن علينا أن نكون منصفين، كما قال ابن القيم رحمه الله:

وتعرّ من ثوبين من يلبسهما يلقى الردى بمذمة وهوان

ثوب من الجهل المركّب فوقه ثوب التعصب بئست الثوبان

وتحلّ بالإنصاف أفخر حلة زينت بها الأعطاف والكتفان

فنأخذ ما وافق الحق من كلامهم، ونترك غيره.

وهذا يؤكد على ضرورة مواصلة الدعوة، والاستمرار في تبيين الحق.

وأن المعركة التي نخوضها معركة ذات جبهات متعددة عقدية وعلمية وتربوية وقتالية، ولذا فهي معركة الأمة كلها، يجب أن تتضافر فيها جهود جميع المخلصين.

كما أن هذا يدعونا لأن نحمد الله سبحانه على ما من به علينا من هداية وتوفيق، يقول الحق سبحانه: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة مّن النّار فأنقذكم مّنها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلّكم تهتدون﴾، وقال سبحانه: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا مّن أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مّبين﴾.

كما أن لين الكلام –وحسن معاملة الضال المتخبط في الفتن– من أهم أسباب دعوته للحق، قال المولى سبحانه لنبيه موسى وهارون –عليهما السلام– عن أسلوب دعوتهما لفرعون: ﴿فقولا له قولا لّيّنا لّعلّه يتذكّر أو يخشى﴾، وفي سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– أن صفوان بن أميّة فر من مكة، لما فتحها الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم، فاستأمن له عمير بن وهب الجمحيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمّنه، وأعطاه عمامته، الّتي دخل بها مكّة، فلحقه عمير، وهو يريد أن يركب البحر، فردّه، فقال: اجعلني فيه بالخيار شهرين. فقال: أنت بالخيار فيه أربعة أشهر.

فإن أصر الكافر بعد بيان الحجة والحكمة في الدعوة، وتكبر، فحينئذ يسن أن يغلظ له في القول ويهدد، كما قال نبي الله موسى –عليه السلام– لفرعون لما أبى الإيمان بعد لين القول وظهور الآيات، يقول الحق سبحانه: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إنّي لأظنّك يا موسى مسحورا (١٠١) قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلاّ ربّ السّماوات والأرض بصآئر وإنّي لأظنّك يا فرعون مثبورا﴾. أي هالكا. والله تعالى أعلى وأعلم.

ومن الوقائع المعاصرة في ذلك، ما كتبه الأستاذ عبد الحليم خفاجي في كتابه (حوار مع الشيوعيين تحت أقبية السجون) ص: ١٠ و١١:

أنه بعد شهرين من الاستماع اليقظ للشيوعيين من كافة أحزابهم وتياراتهم لتجنب خداعهم، والإصرار على أن يبدأوا بطرح عقيدتهم بداية في المادية الجدلية، وبعد أن جاء الدور على الإخوان، وبعد البداية البسيطة التي احتوت على طرح الأسئلة والملاحظات وطرح عقيدتهم ببساطة، فوجئ الإخوان بمدى الارتباك الذي أصاب الشيوعيين، وكانت المفاجأة التي لم يتوقعوها؛ هي إعلان أربعين من الشيوعيين إسلامهم، وطلبوا من إدارة السجن فصلهم عن الشيوعيين، فنقلوا لقسم مستقل، وكان الإخوان يسمعون أذانهم وصلاتهم للجمعة.

ولم يكن كل المنشقين على درجة متكافئة من الإسلام، بل كان منهم من لا يزال على ماركسيته، ولكنه فقد الثقة في قياداته، بعد أن اكتشف عجزها، وهذه عادة هي الخطوة الأولى في العودة لطريق الحق.

وهذا ما أود أن أستشهد به؛ أن العائد من الضلال لا يعود فجأة، بل قد يعود بالتدريج، وأحيانا تبقى معه آثار من فكره الخاطئ، وهنا تبرز أهمية الدعوة المستمرة.

وقد طلب المولى سبحانه من نبيه –صلى الله عليه وسلم– أن يكون مذكرا للكافرين وللمؤمنين، فقال عز من قائل: ﴿فذكّر إنّما أنت مذكّر (٢١) لّست عليهم بمصيطر﴾، وقال سبحانه: ﴿وذكّر فإنّ الذّكرى تنفع المؤمنين﴾.

وكتب الأستاذ عبد الحليم خفاجي في نفس الموضع: أن الشيوعيين أصيبوا بارتباك فكري أدى لمجادلات وتضارب فيما بينهم، ثم طلبوا مهلة للعودة للمختصين، وأخذوا في عقد ندوات داخلية في داخل عنابرهم لمناقشة ما عرضه الإخوان، وكان من الشيوعيين المتعاطفين من ينقل للإخوان ما يدور في تلك الندوات.

ويذكر في الصفحات من ٦٠ إلى ٦٨:

أن أحد الإخوان سألهم: ماذا تقولون عن نشأة الحياة؟

فأجابه أحد الشيوعيين: وجدت الخلية الحية الأولى، التي انشعبت عليها سلسلة التطور، نتيجة تفاعلات كيمائية وبيولوجية في عصور جيولجية سحيقة.

فأجابه السائل بما ملخصه أن هذا خروج عن الجدية، التي التزمنا بها، فأنت تؤمن بالعلم، والعلم –أي علم روسيا تحديدا– لم يقطع في هذه القضية على وجه اليقين.

وحيث أن علم روسيا لم يقطع في هذه القضية بقول يقيني، إذن فهي مجرد فرض، وعليكم أن تسلّموا أن سيادة المادة ونشوء الحياة بدون خلق إلهي هو مجرد فرض، وأن وجود الله سبحانه وتعالى وخلقه للحياة يلزمكم أن تعتبروه فرضا مساويا.

فساد الارتباك بينهم، وأجابوا إجابات، منها أننا منشغلون بواقع الطبقة العاملة، بل أبلغ أحد المتعاطفين الإخوان: أنهم بسبب هذا الإرتباك عقدوا جلسات استمرت ليلتين في نقاش متواصل، وأن

زعيم حزب (حدتو) أي الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني، قد عقد سلسلة من المحاضرات على نطاق حزبه، وركز فيها على أن قضية الإيمان بالله هي قضية شخصية، لا أثر لها على المنهج الجدلي.

بل إن أحد رؤوسهم تحدث في ندوة مفتوحة في عنبرهم؛ أنه قرأ أحد المؤلفات الفلسفية لعالم ماركسي بعنوان (أصل الحياة)، وفيه يقرر المؤلف: أن هذا الكون أثر من آثار قوة كبيرة لها صفات معينة.

وهذه مخادعة منهم لرفاقهم، لأن الشك في عقيدتهم يعني هدم كل نظريتهم، وهو ما تحقق فعلا بانهيار الاتحاد السوفيتي، وكانت هزيمة الشيوعيين في أفغانستان –بفضل الله– هي بداية النهاية لهم، واليوم –بفضل الله– نرجو أن تكون هزيمة الأمريكان في أفغانستان هي بداية الهزيمة والنهاية للأمريكان –أيضا– بإذن الله وتوفيقه.

الخلاصة أن مقصدي من عرض هذه التجارب هو الاستفادة منها.

ففيها فائدة للملحد، ليعلم أن ما يعانيه من صراعات قد عانى منه غيره، ثم أكرمهم الله بالعافية –ولو غير الكاملة– منه.

وفيه فائدة للمؤمن، يتعرف من خلالها على طرق الوقوع في الإلحاد، وسبل الإنابة منه.

ويستشعر فيها بعظيم نعمة الله عليه، أن عافاه الله من الضلال، يقول الحق سبحانه على لسان المؤمنين: ﴿وقالوا الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربّنا بالحقّ﴾، وقال عز من قائل: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتّبعتم الشّيطان إلاّ قليلا﴾.

وفي هذا العرض فائدة خاصة للداعية وللعالم، ليعلم أن المعركة مع الباطل لا تنتهي بمجرد عودة الملحد، بل هناك معركة أخرى رفيقة حليمة حكيمة، تقتضي الاستمرار في نصحه وتوعيته، حتى يتخلص من بقايا ما كان عليه.

***

وأول من أذكره من المهتدين هو الدكتور مصطفى محمود.

سجل مصطفى محمود رحلته من الإلحاد للإيمان في كتابه (رحلتي من الشك إلى الإيمان) الذي صدر عام ألف وتسعمائة وسبعين ميلادي.

وفي الكتاب يبدأ القصة في الصفحات من ٧ إلى ٩:

بأنه لما كان في سن الثالثة عشرة إلى الرابعة عشرة بدأ يتساءل في تمرد:

"تقولون إن الله خلق الدنيا، لأنه لا بد لكل مخلوق من خالق". ثم يقول: "فلتقولوا لي إذن من خلق الله؟ أم أنه جاء بذاته، فإذا كان قد جاء بذاته، وصح في تصوركم هذا الأمر، فلماذا لا يصح في تصوركم –أيضا– أن الدنيا جاءت بذاتها بلا خالق".

ويعلق على تصرفه بقوله: "وتغيب عني –في تلك الأيام– الحقيقة الأولى وراء ذلك الجدل. إن زهوي بعقلي –الذي بدأ يتفتح– وإعجابي بموهبة الكلام ومقارعة الحجج –التي انفردت بها– كان هو

الحافز دائما، وكان هو المشجع، وكان هو الدافع، وليس البحث عن الحقيقة. لقد رفضت عبادة الله لأني استغرقت في عبادة نفسي".

ثم يقرر أنه قد غابت عنه أصول المنطق، وانه كان يتناقض مع نفسه، فيقول:

"إذ أعترف بالخالق، ثم أقول ومن خلق الخالق، فأجعل منه مخلوقا في الوقت الذي أسميه خالقا، وهي السفسطة بعينها.

ثم إن القول بسبب أول للوجود يقتضي أن يكون واجب الوجود في ذاته، وليس معتمدا ولا محتاجا لغيره لكي يوجد. أما أن يكون السبب في حاجة إلى سبب فإن هذا يجعله واحدة من حلقات السببية، ولا يجعله سببا أول".

وذكر أن الأمر استغرق منه ثلاثين سنة ليقطع االطريق الشائكة من الإلحاد إلى اليقين.

ثم كتب:

"ولو أني أصغيت إلى صوت الفطرة، وتركت البداهة تقودني لأعفيت نفسي من عناء الجدل، ولقادتني الفطرة إلى الله.

ولكني جئت في زمن تعقد فيه كل شيء، وضعف صوت الفطرة حتى صار همسا، وارتفع صوت العقل حتى صار لجاجة وغرورا واعتدادا".

ويذكر في ص: ١١:

أنه برغم ماديته وانطلاقه من المحسوسات، التي تنكر كل ما هو غيب، فإنه لم يستطع أن ينفي أو يستبعد القوة الإلهية، لأن العلم كان يقدم له صورة عن العالم في غاية الإحكام والانضباط. فتصور أن الله هو الطاقة الباطنة في الكون التي تنظمه في منظومات جميلة، وهو الحركة التي كشفها العلم في الذرة، وهو الحيوية الخالقة في كل شيء.

ويذكر من ص: ١٢ إلى ١٦ أنه بهذا سقط في فكرة وحدة الوجود الهندية وفلسفة سبينوزا.

ولكنه اكتشف أنها شطحة صوفية خرافية، لأن التشابه بين المخلوقات لا تعني أنها هي الخالق، بل تعني أن خالقها واحد.

وأن النظرة العلمية تقول لنا: إن هذا الخالق هو عقل كلي شامل، يلهم مخلوقاته ويهديها ويسلحها بوسائل البقاء.

وأن هذه النظرة دلته على أن الخالق سبحانه:

"متعال على مخلوقاته، يعلم ما لا تعلم، ويقدر على مالا تقدر، ويرى ما لا ترى.

فهو واحد أحد قادر عالم محيط سميع بصير خبير، وهو متعال يعطي الصفات، ولا تحيط به صفات".

ثم يقول: "وهكذا قدم لي العلم الفكرة الإسلامية الكاملة عن الله".

ومما استوقف مصطفى محمود: معجزة التفرد في البشر، فيذكر في ص: ٢١:

أنه رغم أن الجميع من خامة واحدة كما يقول، إلا أن لكل منا فرديته المستقلة، فله تركيبة خاصة من الأحماض النووية الدي إن إيه والآر إن إيه، ولكل منا بصمات تختلف عن الآخر حتى في التوائم، ولا تتشابه بصمات شخصين منذ بدء الخليقة حتى الآن.

وكان مصطفى محمود يتصور أن العلم يكشف كل شيء، وأن الروح هي الجسد، والعقل هو المخ، والعواطف والشخصية هي ردود الفعل ومجموع الأفعال المنعكسة، والعاطفة –في نهاية الأمر– جوع جسماني، ولكنه تبين بطلان كل ذلك، فكتب في ص: ٢٣ إلى ٢٥:

"وكنت أتصور أني يمكن أن أفهم الروح إذا شرحت الجسد، إذ لا فرق بين الاثنين.

الروح هي البدن، والعقل هو المخ، والشخصية هي ردود الفعل ومجموع الأفعال المنعكسة، والعاطفة –في نهاية الأمر– هي جوع جسماني".

ثم يستدرك: "لو قلنا هذا فنحن أمام تفسير مادي متهافت".

ويضيف: "إن الإنسان ليضحي بلقمته وبيته وفراشه الدافئ في سبيل أهداف ومثل وغايات شديدة التجريد: كالعدل والحق والخير والحرية، فأين حافز الجوع والجنس هنا؟

والمحارب المقاتل في الميدان الذي يضحي بنفسه على مدفعه في سبيل غد لم يأت بعد، أين هو من التفسير المادي؟

إننا أمام إثبات قاطع بأن النفس والذات حقيقة متجاوزة وعالية على الجسد، وليست مجرد احتياجات الجسد الحسية معكوسة في مرآة داخلية.

تلك الإرادة الهائلة التي تدوس على الجسد وتضحي به هي حقيقة متجاوزة عالية بطبيعتها، وآمرة ومهيمنة على الجسد، وليست للجسد تبعا وذيلا.

وإذا كنت أنا الجسد فكيف أتحكم في الجسد وأخضعه؟

وإذا كنت أنا الجوع فكيف أتحكم في الجوع؟".

ثم يذكر: إن تلك الهيمنة هي الشهادة على مفارقة ذلك العنصر وتعاليه على الجسد.

ثم يضيف: "عن طريق النفس أتحكم في الجسد، وعن طريق العقل أتحكم في النفس، وعن طريق البصيرة أضع للعقل حدوده.

هذا التفاضل بين وجود ووجود يعلو عليه ويحكمه هو الإثبات الواقعي، الذي يقودنا إلى الروح كحقيقة عالية متجاوزة للجسد وحاكمة عليه، وليست ذيلا وتابعا".

ثم يسأل –الذي يقول إن الإنسان مجموعة وظائف فسيولوجية– أين يذهب ذلك الإنسان أثناء النوم؟ حيث كل وظائفه الفسيولوجية مستمرة، ولكنّ الإنسان غائب، إنه أشبه بشجرة في حياة بدائية أو حشرية، وإن النوم ثم اليقظة هو النموذج المصغر للموت ثم البعث.

وفي ص: ٣٩ و٤٠ يرفض مصطفى محمود الحتميات المادية كحتمية الصراع الطبقية وحتمية التاريخ، ويؤكد على أنها لا تنطبق على الإنسان ولا يمكن أن تتنبأ بالغيب، ولا يجوز تطبيقها على المجمتعات والتاريخ. فكتب:

"إنما تأتي فكرة الحتمية من التصور الخاطئ للإنسان على أنه جسد بلا نفس وبلا روح وبلا عقل، واعتبار النفس مجرد مجموع الوظائف العليا للجهاز العصبي.

ومن الواقع المشاهد من خضوع الجسم للقوانين الفسيولوجية يستنتج المفكر المادي أن الإنسان والإنسانية بأسرها مغلولة في القوانين المادية.

وهكذا يجعل من الإنسان كتلة مادية أشبه بكتلة القمر محكومة في دورانها حول الأرض والشمس بالحتميات الفلكية.

وينسى أن الإنسان يعيش في مستويين:

مستوى الزمن الخارجي الموضوعي المادي؛ زمن الساعة، وفي هذا الزمن يرتبط بالمواعيد والضرورات الاجتماعية، ويعيش في أسر القوانين والحتميات.

ومستوى زمنه الخاص الداخلي؛ زمن الشعور وزمن الحلم".

وأنه في هذا الزمن حر من الحتميات المادية، بل هو قادر على أن يثور على المجتمع والتاريخ، فيغيره من أساسه.

ثم يضيف عن هذه النفس التي تختلف عن الجماد: "هي تفرض نفسها على الواقع الخارجي وتغيره، وتفرض نفسها على الجسد، وتحكمه وتقوده وتعلو على ضروراته، فتفرض عليه الصوم والحرمان اختيارا، بل قد تقوده إلى الموت فداء وتضحية.

مثل هذه النفس لا يمكن أن تكون مجرد ناتج ثانوي من نواتج الجسد، وذيلا تابعا له، ومادة تطورت عنه.

مثل هذه النظريات المادية لا تفسر لنا شيئا.

وإنما لا بد أن نسلم أن هذه النفس عالية على الجسد متعالية عليه، وأنها من جوهر مفارق لجوهر الجسد وحاكم عليه، فهي في واقع الأمر تستخدم الجسد كأداة لأغراضها".

ويقر في ص: ٥٤:

بأن "الله الخالق العادل الملهم، الذي خلق مخلوقاته وألهمها الطريق (وهو لباب الأديان كلها) هو مبدأ أولي يصل إليه العقل دون إجهاد، وتوحي به الفطرة بداهة.

وإنما الافتعال كل الافتعال هو القول بغير ذلك.

والإنكار يحتاج إلى الجهد كل الجهد، وإلى الالتفاف والدوران واللجاجة والجدل العقيم، ثم نهايته إلى التهافت، لأنه لا يقوم على أساس، ولأنه يدخل في باب المكابرة والعناد أكثر مما يدخل في باب التأمل المحايد النزيه والفطرة السوية.

وهذا هو ما قالته لي رحلتي الفكرية الطويلة، من بدايتها المزهوة في كتاب (الله والإنسان) إلى وقفتها الخاشعة على أبواب القرآن والتوراة والإنجيل".

وفي ص: ٨٦ وما بعدها يسخر من الذين يزعمون أن هذا العالم البديع المحكم حدث صدفة، ويصف زعمهم بالسذاجة، فكتب أن هذا مثل قولنا:

"إن انفجارا في مطبعة أدى إلى أن تصطف الحروف على هيئة قاموس محكم.

والكيميائي المغرور الذي قال: إيتوني بالهواء والماء والطين وظروف نشأة الحياة الأولى وأنا أصنع لكم إنسانا. هذا الكيميائي قد قرر احتياجه سلفا لكل العناصر والظروف، وهو اعتراف بالعجز عن تقليد صنعه الخالق، الذي خلق الشيء وخلق ظروفه أيضا.

ولو أنا آتيناه بكل هذه العناصر وكل تلك الظروف، ولو أنه فرضا وجدلا استطاع أن يخلق إنسانا، فإنه لن يقول: صنعته الصدفة، بل إنه سوف يقول: صنعته أنا".

ويبين أن التفكير المادي الذي يلجأ للصدفة لتفسير ترقي الموجودات –من العناصر الأولية للحياة المعقدة– عبر سلسلة طويلة من الصدف هو أمر غير معقول، لأنهم كلما أعيتهم الحيلة قالوا إنه حدث صدفة.

وهل الصدفة تفسر عجائب الحياة مثل اا‍لطيور التي تهتدي لأوطانها على بعد آلاف الأميال.

وذكر أن الفكر المادي وجد نفسه في مأزق أمام هذا التفسير الساذج، فزعم أن الحياة نشأت من حالة ضرورة، ثم تعقدت هذه الضرورة.

وذكر أن هذا تلاعب بالألفاظ، فمكان الصدفة وضعوا كلمة (تعقد الضرورة).

ثم تساءل عن هذا الزعم بتعقد الضرورة، فكتب في ص: ٨٩:

"كيف ينمو الحدث الواحد إلى قصة محبوكة بدون عقل مؤلف؟

ومن الذي أقام الضرورة أصلا؟

وكيف تقوم الضرورة من لا ضرورة.

إنها استماتة العقل الخبيث المكابر، ليتجنب صوت الفطرة، الذي يفرض نفسه فرضا ليقول: إن هناك خالقا مدبرا".

وكتب عن هذا الخالق المبدع لهذه البدائع بأنه: "الله الذي وصفته لنا الأديان بأسمائه الحسنى، ولا سواه، وليس القانون الأصم، الذي تقول به العلوم المادية البكماء، ولا إله أرسطو المنعزل، ولا إله أفلاطون القابع في عالم المثل، ولا هو الوجود بكليته كما تصور إسبينوزا وأتباع وحدة الوجود.

وإنما هو: الأحد الذي ليس كمثله شيء".

***

وثاني من أذكره من المهتدين هو الدكتور عبد الوّهاب المسيري.

يحكي المسيري في كتابه (رحلتي الفكرية ص: ١٣٠ و١٣١) عن قصة بداية إلحاده.

أنه في السنة النهائية من الدراسة الثانوية بدأت بعض الأسئلة تلح عليه بشدة، وكان من أهمها أسئلة عن الشر في العالم والحكمة من وجوده، وعن أصل الكون، وأنه لم يجد من يجيبه عليها إجابات مقنعة.

وسنرى فيما بعد -إن شاء الله- أن وجود الشر -الذي كان من دوافع إلحاده- هو الذي دفعه للإيمان، لما رآه من استفحال الشر في الحضارة الغربية.

ثم تحول للدراسة في جامعة الأسكندرية، وهناك تعرف على الفكر الماركسي، وأصبح شيوعيا ملحدا.

وفي ص: ١٣٣ يحكي أنه انضم لحزب (حدتو).

وفي ص: ١٣٤ يروي صدمته من الانحطاط الخلقي وسط أعضاء الحزب، كما ذكرت من قبل، ولهذا استقال من الحزب، ولكنه بقي ماركسيا صديقا لهم.

ثم سافر لأمريكا وحصل على الماجستير ثم الدكتوراه، وفي أمريكا بدأت رحلة عودته الطويلة للإيمان.

المهم أن الذي نستفيده من هذا؛ أن الشبهات -التي دفعت المسيري للإلحاد- كان الرد عليها بسيطا، لو أنه لقي عالما فاهما، ولو أنه كان صادقا، في طلب الحق، وهو أمر بينه وبين ربه، لا يمكننا الاطلاع عليه.

لأنه في رحلته للعودة إلى الإيمان أجاب بالتفصيل عن كل هذه الشبهات.

كما نستفيد أن دعاة العقيدة الماركسية كانوا ينشطون مستغلين الظلم الاجتماعي، وكانوا يعملون سرا وبالتدريج، وكانوا يبتعدون عن المواجهة، وهو أمر جربته شخصيا، بل واعترف به المسيري نفسه، حيث ذكر في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول- الجزء الرابع- الباب الأول- تحت عنوان: (إشكالية العلمانيتين: علمانية جزئية وعلمانية شاملة) ما نصه:

"ومع هذا، تجب الإشارة إلى بعض الأفراد ممن يتبنون نماذج علمانية شاملة ويستخدمون ديباجات جزئية عن وعي وبدهاء مقصود، لأن الناس ينفرون بفطرتهم الإنسانية من العلمانية الشاملة بسبب وحشيتها وعدميتها".

واليوم بعد أن انهارت الشيوعية فكرا وواقعا، تلون الإلحاد بلون ليبرالي تحرري، ويسعى لاستغلال بعض ما يعتبره ظلما لمهاجمة الإسلام، والعلاج بأمرين:

الأول: أن نبين ونوضح ونؤكد أن الإسلام ضد الظلم، وأن يحمل المسلمون راية الدفاع عن المظلومين كما أمروا بذلك.

والثاني: أن نواجه هؤلاء الملاحدة فكريا وعمليا، بكشف تهافت عقائدهم، وبمجاهدة الأنظمة والكيانات التي تحميهم، وهذا هو منهج القرآن.

وفكر هؤلاء الملاحدة متهافت جدا، وينكشف بسرعة لدى المواجهة بفضل الله، وينبني أساسا على تشجيع العلمانية، التي هي الأساس الركين للدولة الوطنية، التي قسمت دولة الخلافة لاثنتين وخمسين شظية. بعضها لا تستطيع أن تراه على الخريطة إلا بعدسة.

والمؤسف جدا أن بعض الحركات والأشخاص -الذين ينتسبون للعمل الإسلامي- ينادون بأطروحات علمانية وطنية تفرق بين المسلمين، وتوحد بينهم وبين الكافرين على أساس الوطن والأرض.

وكثير من هؤلاء -إن لم يكن أكثرهم- تسببوا في ضياع ثورات الشعوب فيما سمي بالربيع العربي.

إذن لا بد من المواجهة الشاملة للجاهلية الحديثة، مواجهة عقدية فكرية لدعاة الضلال، ومواجهة تعليمية تربوية للمسلمين، ومواجهة جهادية قتالية للأنظمة التي تؤسس للفتنة، قال سبحانه: ﴿ولقد بعثنا في كلّ أمّة رّسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت﴾، وقال عز من قائل: ﴿وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدّين كلّه لله﴾. وقال النّبيّ صلى الله عليه وسلّم: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم"[٢].

وهذه المواجهة الشاملة لا بد فيها من تضافر جهود جميع المخلصين في الأمة، ليسعوا بكل إمكاناتهم لإدارة الصراع العقدي والعلمي والتربوي والقتالي مع أكابر المجرمين.

***

وأكتفي بهذا القدر، وفي الحلقة القادمة -إن شاء الله- نسير مع المسيري في رحلته الطويلة في عودته للإيمان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[٢] أخرجه النسائي، وصححه الألباني.